1985

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

مخبر سيميولوجيا المسرح بين النظرية والتطبيق

شهادة مشاركة

يتشرف السيد عميد كلية الآداب واللغات ورئيس ملتقى المسرح المدرسي بين التعليم والترفيه بمنح هذه الشهادة

للدكتور(ة): **ناصر بركة** جامعة: **المسيلة**

لمشاركته (ها) الفعالة في الملتقى الوطني الثاني: المسرح المدرسي بين التعليم والترفيه، بتاريخ: 02 مارس 2020 بقاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية، بمداخلة موسومة بـ: **واقع التحصيل المدرسي في ظل غياب المسرح التعليمي داخل المنظومة التربوية الجزائرية ومساعي التجديد.**

رئيس الملتقى

الدكتور عبد العزيز بوشلالق

عميد كلية الآداب واللغات

عميد كلية الآداب واللغات
فضيلة مسار بن لترش

عنوان المداخلة:

واقع التحصيل المدرسي في ظل غياب المسرح التعليمي داخل المنظومة التربوية الجزائرية ومساعي التجديد.

د/ ناصر بركة جامعة المسيلة

الملخص:

سعيا منا من خلال هذه المداخلة الموسومة بـــ"واقع التحصيل المدرسي في ظل غياب المسرح التعليمي داخل المنظومة التربوية الجزائرية ومساعي التجديد" إلى جعلها مبادرة من بين المبادرات التي ترمي إلى التغيير في واقع المنظومة التربوية الجزائرية وجعل المسرح المدرسي من بين اهتماماتها وانشغالاتها نقول أن الاهتمام بالتكوين في مجال المسرح في فترات مبكرة للتلميذ له دور كبير ومهم في إعداد طلبة على قدر كبير من الفاعلية والتوازن اللازمين للاندماج في المجتمع والتأثير فيه، لأن هذا المجال من التحصيل يكاد يكون الوحيد القائم على إشراك المتعلم في العملية التعليمية التعلمية، والاهتمام بحالته النفسية التي هي السبيل إلى التعلم، هذا يعني أن الفنون بشكل عام، والمسرح منها تحديدا مجال مشحون بدافعية قوية نحو تصويب التجارب الإنسانية واستيعابها، فالمسرح يُبنى على مقاصد تربوية وغايات تعليمية.

فلا يُمكن لأحد أن ينفي الأهمية البالغة للمسرح، لكن في الوقت ذاته هناك أمر لا يُكن إغفاله هو أن واقع المسرح في المنظومة التربوية الجزائرية لا يحض بالمكانة اللائقة به، لاسيما في الأطوار التعليمية الأولى من مرحلة الابتدائي إلى مرحلة الثانوي، وبالتالي سينجر عليه بالضرورة تكوين جيل يُبنى للطور الجامعي لكنه بعيد كل البعد عن فن المسرح سواء من خلال تكوينه بوصفه شخصا محبا متذوقا للمسرح، أو أن يستغل هذا الفن لبناء شخصيته والتصحيح والتصويب في سلوكاته، مما يستدعي ويستوجب إعادة النظر في المناهج التربوية الجزائرية وضرورة إدراج المسرح المدرسي ضمنها.

وفي إطار دراستنا لهذا الموضوع نقف عند جملة من التساؤلات منها:

ماهو واقع التحصيل المدرسي عند التلميذ في ظل غياب المسرح التعليمي في الجزائر؟

إلى أي مدى نلمس أهمية المسرح التعليمي؟ وكيف يُمكن أن نصور واقعه داخل المنظومة التربوية الجزائرية(في الأطوار الأولى)؟ ثم ما الآفاق التي نرسمها نحو التجديد والتغيير ؟

ماهية المسرح المدرسي:

يعد المسرح المدرسي من الوسائل الإعلامية المهمة في المجتمع المدرسي، ولذلك سنتناول في هذه المداخلة هذا الموضوع من خلال المناقشة والتحليل في عناصر مختلفة تخص الموضوع منها مفهوم المسرح المدرسي وأهميته وأهدافه إضافة إلى مظاهر غيابه في المؤسسة التربوية الجزائرية، ونختم موضوعنا بمجموعة عناصر نرى فيها بدايات وبوادر لإدخال هذا الفن التربوي التعليمي في المناهج التربوية الجزائرية.

1/ تعريف المسرح المدرسي:

نأخذ مجموعة من التعريف للمسرح المدرسي، هذه التعاريف التي وقف عندها مجموعة من الباحثين والمهتمين بهذا الفن فنقول:

عرف النباهين المسرح المدرسي بأنه: "مجموعة النشاطات المسرحية بالمدارس التي تقدم فيها المدرسة أعمالا مسرحية لجمهور يتكون من الزملاء والأساتذة وأولياء الأمور، وهي تعتمد أساسا على إشباع الهويات المختلفة للتلاميذ، كالتمثيل والرسم والموسيقى كل ذلك تحت إشراف معلم التربية المسرحية".

ويعرفه أبو هداف بأنه: "مسرح تربوي تعليمي يتم في البيئة المدرسية سواء كان مادة دراسية تخضع لعملية التدريس، وهذا يتم بالفصل الدراسي، أو كان نشاطا يتحرر من طابع الدرس النظامي ويشمل كل الأنشطة التي تحددها المدرسة ومجاله المؤسسة التربوية أيا كان شكلها".

وتعرفه عزوز بأنه: "نوع من أنواع النشاط المدرسي ووسيلة من الوسائل التعليمية التي تعمل على تبسيط وتيسير، بل وتحبيب المواد الدراسية لنفوس التلاميذ، ووسيلة تربوية لتحقيق غايات وأهداف تربوية بطريقة يفضلها التلاميذ، وطريقة مختلفة تكسر روتين الحصص اليومي وطرق التدريس والتربية المألوفة، والقائمة على طريقة التنظير" (1) علاء أحمد العياش، واقع الإعلام المدرسي وتصور مقترح لتفعيله من وجهة نظر معملي وتلاميذ الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في مدينة دمشق، كلية التربية قسم أصول التربية، جامعة دمشق، 2013، ص31.

ويمكن تعريف المسرح بأنه:"الخشبة التي يؤدي فوقها اللاعبون عروضهم عليها: وهو "المنطقة التي يؤدي فوقها الممثلون أعمالهم المسرحية منطلقة من النص الأدبي ويكون عادة مرتفع عن الأرض، والأرضية العامة للمكان يؤدي الممثلون أدوارهم فوقها وتحتها أيضا في الحالات النادرة جدا وهنالك عدة أنواع من المسارح منها المسرح المدرسي ومسرح الطفل والمسرح الثقافي والمسرح التجاري والمسرح الوثائقي".

يعد المسرح المدرسي في عرف المختصين بالدراسات المسرحية نوعا من أنواع مسرح الطفل، غير أن بعضهم يعرفه بقوله: "هو لون من ألوان النشاط يؤديه الطلاب في مدارسهم تحت إشراف معلميهم داخل الفصل الدراسي أو خارجه في صالة المدرسي وعلى خشبته... أو خارج الصالة في حديقة المدرسة أو ساحتها. وإذا كان المسرح المدرسي يقترب كثيرا من المسرح باعتباره فنا من الفنون الأساسية التي عرفها الإنسان ومارسها منذ أقدم العهود، فإن المسرح المدرسي يحتفظ لنفسه بفلسفة خاصة تتناسب مع طبيعته و وظيفته الأساسية" ، نعرف من خلال هذا التعريف أن للمسرح المدرسي فلسفته الخاصة التي تميزه عن المسرح عامة، ذلك أنه يُسهم في تحقيق التقدم الدراسي الدائم، ويعين على التحصيل و التزود العلمي والأدبي والفني وينمي استعدادات المتعلمين ويرفع من قدراتهم ويستثير مواهبهم ويوجههم الوجهة الصحيحة والسوية، بما يشكل مواصفات المتعلم المستقبلية، وبما يجعله قادرا على التكيف مع الوضعيات الحياتية المختلفة.

يعرف أ.ف النجتون المسرحية المدرسية بقوله: "إنها بطريقة أو بأخرى حصيلة عمل الطالب في الفن المسرحي بالمدرسة وبطريقة أو بأخرى فالمسرحية المدرسية هي جزء من تقدمه الدراسي الذي سوف يستمر مدى حياته أما بالنسبة للفن المسرحي، فهذا الفن سيؤدي به إلى الحصول على مهنة بالمسرح أو الاستمتاع بوجود مجتمع مسرحي للهواة أو الانضمام إلى عضوية الجمهور التي تتسم بالنقد والفطنة للمسرح الفعلي والسينما والراديو والتلفزيون"، إن تعريف النجتون ينصب على مدى مشاركة الطالب ومدى ما حصله من معلومات دراسية استطاع أن يقدمها في إطار فني من خلال مشرف وهي تسهم بذلك في تحقيق التقدم الدراسي الذي سوف يستمر معه طوال حياته القادمة، ومن ثم يرتبط المؤلف بين المدرسة وبين النشاط المسرحي وبين التحصيل الذي سيشكل ملامح الطالب المستقبلية ونظرا لأهمية المسرح المدرسي ينظر إلى المسرحية المدرسية من حيث كونها "حدثا مدرسيا هاما فريدا، فالمدرسة في عرض حيث إن المشرفين المحليين وأعضاء هيئة الإدارة وأصدقاء المدرسة هم من بين الجمهور الأساسي للمدرسة، فهناك شيء في هذا الأمر ككل، يجب أن تكون المسرحية جيدة بنفس الجودة التي تتسم بها هيئة الموظفين" (2)أحمد صقر، المسرح المدرسي تعريفه أهميته مصادره ومقوماته الجمالية، الحوار المتمدن، 20 فيفري 2011

يشكل المسرح المدرسي فنا أصيلا يشارك مع بقية الفنون في تقديم مجموعة من الأفكار والمواقف والأحداث التي تسهم في بناء الإنسان وتغيير توجيهاته الفكرية والثقافية وتساهم في نشر العلم والثقافة بين صفوف الطلبة على مستوى المدارس باختلاف مراحلها ويشرف على هذا المسرح المشرف الفني أو المدرس المختص وذلك بتنشيط التمثيل الذي يقوم به الطلبة داخل المدرسة في المناسبات الدينية والوطنية. (3)مالك نعيمة غالي المالكي، أهمية المسرح المدرسي ومسرح الطفل وتداخلهما لتحقيق أهداف تربوية وغيابها في المدارس والمؤسسات التربوي، معهد الفنون الجميلة، العدد:11،2011، الرصافة.

2/ لمحة تاريخية عن المسرح المدرسي:

إذا كان العلم يمدنا بالمعرفة وإذا كانت الأخلاق تمدنا بالتوجيه فهل نتقبل هذه المعرفة أو ذلك التوجيه دائما بصدور رحبة؟ خاصة إذا كان في العلم جفافا وفي الفضيلة مشقة ومواجهتهما مواجهة مباشرة تكلفنا كثيرا وتضنينا أكثر، ومن ثم ذهب القائلون بالغاية التعليمية للفن، بما يضفيه على العمل والأخلاق من جمال وحلاوة يستطيع أن يسوقها إلى نفوسنا بسهولة وفي استمتاعنا بهذا الجمال وتلك الحلاوة نكتسب المعرفة دون شعور منا، ذلك لأن التعليم الناجح قد ارتبط بالمتعة منذ القدم فأقدم الحلم المأثور في مجال التعليم حكمة تنصح المدرس بأن يحول التعليم إلى متعة، وهذا ما يفعله المسرح تماما.

وهنا يمكننا التصريح أنه من أنواع الجمهور المسرحي جمهورا يأتي انطلاقا من مبدأ بحثه عن التسلية والترفيه وقضاء الوقت وتوفير المتعة حتى ربط المسرح في كثير من الأحيان وعند الكثير بمصطلح التسلية والضحك والفكاهة غير أن التسلية والضحك لم يكونا معيارين فنيين يوما، وكما كان يقول موليير "هناك أماكن مدعاة إلى التسلية أكثر من المسرح"، وهنا

تتبين لنا غاية المسرح الحقيقية اتجاه المشاهدين وكذا غاية المشاهدين وراء ذهابهم إلى المسرح موازاة مع الأغراض الأخرى التطهيرية والاستمتاعية والترفيهية والفرجوية والتعويضية فهناك من يذهب إلى المسرح بدوافع خاصة منها التعلم والتثقيف والإطلاع وتصحيح الأفكار والاتجاهات والمفاهيم العدائية والسلبية لذلك كان ومازال المسرح يحرص على رغبة المتلقي في التعلم والتثقف من خلال قدرته التأثيرية في جمهوره.

ولو بحثنا في التاريخ لوجدنا أن السبب الحقيقي وراء الجدل الديني والأخلاقي الذي أثير ومازالت تثار حوله العديد من المناقشات والذي ارتبط باسم أفلاطون واسم أوغسطين. وإذا أفصح هذا الجدل عن شيء فإنما يفصح عن اعتراف ضمني بطبيعة المسرح المأثرة وعن خوف حقيقي من قدرة هذا الفن على التأثير فلقد كان أفلاطون يخشى أن يعود المسرح الشباب على تقبل العادات السيئة، كما أبدى أوغستين مخاوف مماثلة واستشهد بآراء أفلاطون على رغم من أنه كان في شبابه ممثلا وكاتبا مسرحيا، إلا أنه تشدد في موقفه المعارض للمسرح أكثر من أفلاطون وكرد فعل لهذه المخاوف استشهد المسرح في دفاعه عن نفسه برأي نقيض يؤكد أن عرض الفضائح إنما يعري حقيقتها ويدينها ويطهر الجمهور من أية نوازع دفينة قد تدفعه إلى الرغبة في مثل هذا السلوك. فاستعراض الشر على الملء لا يجرده من أنيابه فحسب، وإنما يرشد المؤمنين أيضا إلى سبل تجنب الرذيلة وقد استخدم الفلاسفة والقساوسة معا هذه الحجة في الدفاع عن المسرح فقد اجتمعت الآراء إذن على قوة وفاعلية المسرح باعتباره وسيلة تعليمية.

ومن هنا يمكن العودة إلى مفهوم المسرح التعليمي وأشكاله وكيف تعامل هذا النوع من المسرح مع المتلقي وماذا حقق للمتلقي حتى اتخذه هدفا من وراء ذهابه إلى المسرح ، وإن كلمة "الديداكتيك" مأخوذة من "ديداكتيكوس" التي تدل على كل ماله صفة تعليمية ومصطلح المسرح التعليمي واسع لا يرتبط بنوع مسرحي محدد فهو يشمل كل مسرحية لها بعد توجيهي أو تربوي. والبعد التعليمي في المسرح كان موجودا منذ القدم لكنه كان يختلف باختلاف ركائز الفكر في كل زمن الدين،الأخلاق، الفلسفة، السياسة، العلم، وفي الحضارات القديمة كان الأدب ومن ضمنه المسرح أشكال التعبير هذه باعتبارها وسيلة تربوية بالمعنى الواسع للكلمة، فقد دُونت الأساطير والملاحم على شكل نصوص لها طابع تعليمي يطرح عبرة أخلاقية، وهذا ما نجده على سبيل المثال في ملحمة "جلجامش" التي طرحت حدود القدرة الإنسانية، وفي ملحمة "النياتاكاسترا" الهندية حيث يقوم الباهاراتا بجمع نخبة من عدة كتب يثبتها في بحث عن المسرح، ويعتبر فيه أن المسرح أداة تعليم يحظى بالبركة الإلهية، من جهة أخرى أخذت البحوث الفلسفية القديمة في كثير من الأحيان طابعا تعليميا لأنها كانت تُطرح على شكل حوار بين المعلم وبين تلميذه كما في حواريات أفلاطون.

والمسرح اليوناني القديم نفسه أخذ بعدا تعليميا لأنه كان يهدف إلى تربية المواطن الصالح في المدينة الوليدة في القرن الخامس قبل الميلاد ومفهوم التطهير في التراجيديا الذي يُعد من أساسيات المسرح اليوناني لا ينفصل عن هذا المنظور التوجيهي، كما ألأن الكوميديا كانت بشكل من الأشكال تهدف إلى التعليم مع الإمتاع، وخاصة وأن المقطع

الأخير الذي يتوجه للجمهور مباشرة والذي يسمى الخانقة هو استخلاص العبرة المسرحية. حتى اعتبر المسرحي اليوناني "أرسطوفان" أن كل شاعر كوميدي له الدور التوجيهي في مجال الأخلاق أو السياسة.

أما عن المسرح الأوروبي في القرون الوسطى وعلى الأخص المسرح الديني ولد من الرغبة في تثبيت تعاليم الدين المسيحي من خلال عرض المفاهيم الأخلاقية المجردة عبر الشخصيات المجازية أو من خلال استخدام الأمثولة، وفي المسرح الأوربي في القرون الوسطى كان المسرح المدرسي مسرحا تعليميا حيث استخدم الآباء اليوسيون في ألمانيا المسرح باعتباره وسيلة إقناع ودعاية لمواقفهم في فترة الإصلاح المضاد، ومن هذا المنظور يمكن اعتبار مسرحيتي "استير" و"اتالي" للفرنسي "جان راسين" تتدرجان في إطار المسرح التعليمي .

أما في القرن الثامن عشر استمر التوجه نحو التأكيد على البعد التعليمي للمسرح وهذا ما يظهر بشكل واضح في كتابات الفرنسي "دينيز ديدور" الذي اعتبر أن دور المسرح هو بث الفضيلة.

أما في القرن التاسع عشر ومع تغير الركائز الفكرية من الأخلاق إلى السياسة أخذ البعد التعليمي في المسرح توجها جديدا تجلى في الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية، لكن الهدف التعليمي كان يطغى أحيانا على القيمة الفنية للعمل، ومن هذا التوجيه انبثقت فكرة مسرحية الأطروحة التي تهدف إلى توصيل فكرة عينة فلسفية أو اجتماعية بحيث يكون الحوار والحدث حجة لإنبات هذه الفكرة. وهذا ما نجده في مسرحيات النرويجي "هنريك إبسن" والإيرلندي "جورج برنارشو" والمسرح الملتزم الذي يطرح قضايا سياسية وإيديولوجية وأهم الأمثلة عليه مسرحية "الأيدي القذرة" للفرنسي "جان بور سارتر" وقد لاقت فكرة المسرح الملتزم بالقضايا السياسية والاجتماعية رواجا كبيرا في العالم العربي بشكل عام وعلى الأخص في فترة الستينات وهذا ما نجده على سبيل المثال في مسرحية "الدخان" للكاتب " ميخائيل رومان" وفي مسرحية "سكة السلامة" للمؤلف المصري "سعد الدين وهبة" وفي مسرحية "فلسطين المغدورة سنة 1977م" لكاتب ياسين وغيرها.

أما في القرن العشرين ارتبط التوجه التعليمي بنظرة جديدة إلى دور المسرح في المجتمع وهذا التوجه الجديد تجاوز نطاق المضمون ليس شكل الكتابة وطريقة التعامل مع الجمهور الذي تغير واسع وهذا ما ظهر في مسرح الألمانيين "إروين بيسكاتور" و"برتولد بريشت" وحتى في المسرح السياسي والمسرح التحريضي.

وهذه العروض المسرحية ذات التوجه الجديد تختلف عن تلك التي تعتنق توجها تعليميا أشبه بالتلقين الفكري، التي إن تجنبت الخطابة والمباشرة تتحول فيه التجربة المسرحية من مرحلة استكشاف ممتعة ومثيرة إلى نوع من التلقين الفكري والعاطفي الذي يسعى إلى تكريس السائد ويدعوا إلى التغيير وفقا لإيديولوجية معينة، إلا أن أنظمة الإرسال المسرحية التي تقوم على التسلط وتسعى إلى التلقين وهيمنة الخطاب الواحد تتنكر لطبيعة الفنون بعامة وفن المسرح بخاصة.

فالمسرح يواجه الفرد بصورة ذاته ويجبره على مواجهة أفكاره ومشاعره وتناقضاته مواجهة حية مباشرة، كما يقوم على تعارض وجهات النظر أي على الصراع من خلال الأحداث الفكرية والاجتماعية. وهو الفن الذي لا يلتزم بوجهة نظر واحدة ولكن يجعل من تبادل وجهات النظر وصراعها أساسا لتقدم الأحداث، ولذلك فالمشاهد الذي يتابع العمل المسرحي لا بد من أن يحفظ بحرية الاختلاف أو الاتفاق مع ما يرى ويسمع، وكذلك لا بد للعمل المسرحي نصا وعرضا أن يمارس حرية التصور والمزاوجة بين النظريات المختلفة للواقع، مستهدفا إنارة الوعي وتحرير الفكر وإذكاء السماحة ورحابة المشاعر. وهذا لا يتأتى على حسب رأي "بيتر بروك" إلا بوضع الجمهور في قلب التجربة المسرحية وإلقاء عبئا عليه وهنا ترجع المشكلة إلى المشاهد هل يود أن يغير شيئا في نفسه أو في حياته أو في مجتمعه؟ إذا لم يكن يريد فهو ليس بحاجة للمسرح من حيث هو امتحان قاس، ومنظار مقرب وأضواء كاشفة ومكان للمواجهة. من الناحية الأخرى قد يود أن يكون المسرح هذا كله معا وفي هذه المرحلة لن يصبح بحاجة للمسرح فقط لكنه بحاجة لكل شيء يستخرجه منه، إنه بحاجة إلى الأثر الذي يخدش وإلى أن يبقى هذا الأثر لا يزول.

كما أراد "بيتر بروك" أن يخلق علاقة بين الجمهور وبين المسرح من خلال وضع المشاهد قاضيا يستمع في أناة وهدوء إلى جوانب القضية المختلفة ثم يصدر حكمه بعد تأمل. وهي الخطوة الثورية نفسها التي خطاها "بريشت" حين أخرج المشاهد من إغفاءته التقليدية ودفع به نحو موقف القاضي وذلك من خلال منهجه التغريبي في المسرح الذي يقوم على إبعاد الواقع المصور بحيث يعرض الموضوع من خلال منظار جديد يظهر ما كان خفيا أو يلفت النظر إلى ما صار مألوفا فيه لكثرة الاستعمال، أي تعديل إدراك الشيء المألوف من خلال إبراز الشاهد فيه، وقد أطلق "برشت" اسم المسرح التعليمي على نوع محدد من المسرحيات كتبها بين سنة 1929 و1934م، وأهمها "القاعدة والاستثناء" و"القرار" والمسرحيات التعليمية تشكل مرحلة في مسار تطور مسرح برشت انبثقت من التساؤل حول هدف المسرح الملحمي والجدلي، وقد حاول من خلال المسرح التعليمي أن يذهب بالمسرح إلى الجمهور في أماكن تواجده في العمل مثلا، كما اعتمد على مشاركة المتفرجين في صياغة الشكل النهائي للمسرحية، وهذا ما نجده في مسرحية "هذا الذي يقول نعم وهذا الذي يقول لا" حيث يطلب من الجمهور أن يقترح النهاية والخاتمة.

أما في المسرح العربي حيث تزامن دخول المسرح مع مرحلة النهضة العربية أكد الرواد على الجانب التعليمي في المسرح واعتبروا أن هذا البعد يساعد على الرقي والتطور وعلى التهذيب للطباع، وهذا ما أكد عليه "مارون النقاش" في الكلمة التي ألقاها في افتتاح مسرحه في بيروت، وتبعه في ذلك من تلاه من الرواد، فهذا "فرح أنطوان" قد ذهب أبعد من ذلك ليؤكد أن المسرح قادر على أن يعطي درسا في الحس القومي.

ولم يقتصر هذا التوجيه على مرحلة الرواد، لأن الهاجس التعليمي والتوجيهي ظل مسيطر على المسرح العربي عبر تطوره، والمسرح الجزائري على وجه الخصوص يزخر بالمسرحيات ذات الطابع التعليمي والتوجيهي التربوي، حتى وإن لم يرتبط هذا الطابع بنوع

مسرحي محدد إلا أن أغلب المسرحيات كانت تمرر أهدافها التثقيفية والتعليمية من خلال عرض مواضيع تبعث على المشاهدة المتسائلة لا المشاهدة المتساهلة ذلك لأن المساءلة سبيل إلى تعميق الفكر في ما يمكن أن تثيره هذه الأسئلة من قلق، والأمثلة عديدة على ذلك إذا تصفحنا ريبارتوار المسرح الجزائري فيما يخص البعد التنويري التثقيفي الذي يصحح الأفكار والاتجاهات والمفاهيم العدائية والسلبية المكشوفة المألوفة أو المسكوت عنها.(4) برمانة سنية سامية، العلاقة المسرحية وجمالية التلقي لدى الجمهور المسرحي الجزائري، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2009، صص184،180.

3/ أهمية وأهداف المسرح المدرسي:

إن المدرسة مجتمع صغير وهي جزء من مجتمع كبير، وهذا المجتمع الصغير قد وكّل إليه المجتمع الكبير عملية التربية والتعليم الذي يراها مناسبة له، والحياة المدرسية قائمة على عمليات الجماعة ليس داخل الصف فحسب وإنما خارجه، وهي حياة تعمل على تشجيع التعاون والتفاهم بين التلاميذ، بما تقدمه من معارف ومعلومات وبما تتطلبه من ممارسات فردية مقدمة للجماعة كممارسة المعلم التعليم للتلاميذ، وممارسات جماعية مقدمة للجماعة، كعمليات إقامة الأنشطة ومنها المسرح المدرسي ومن خلال اطلاع الباحث على بعض الأدبيات والدراسات التي تناولت المسرح المدرسي والتعليمي تم ملاحظة الأهمية التربوية والاجتماعية والأخلاقية والعلاجية والترفيهية والتي تعود على سلوك المتعلم ومنها نذكر:

-جانب تطوير وتنمية شخصية التلميذ فهو وسيلة لتنمية ميول التلميذ واهتمامه وفرصة للكشف عنها، كما أنه مجال خصب للتعبير عن تلك الميول وإشباع حاجاتهم .

- يعد جانب اكتساب الخبرات وتعديل السلوك حيث يتعلم التلاميذ أشياء يصعب عليهم تعلمها في الصف، فعن طريق المسرح يمكن أن يتزود التلاميذ بالمهارات والخبرات الاجتماعية والخلقية والعلمية والعملية كالتعاون وتحمل المسؤولية والقدرة على ضبط النفس واحترام الآخرين والاعتماد على النفس.

- إن الأنشطة المسرحية تقوم كذلك على خلق أجواء ومواقف تعليمية شبيهة ومماثلة لمواقف الحياة الخارجية، مما يدفع بالتلاميذ إلى استخدام ما تعلمه في الصف ويدفعه إلى فهم العالم الخارجي.

- جانب مساندة المقرر التعليمي: يسهم النشاط المسرحي في المدرسة في تثبيت المفاهيم وإدراكها أثناء عملية التعلم لدى التلاميذ، فهو يكسبنا جانبا كبيرا من التغيير في عملية التعليم التلقينية التقليدية، ويجعل عملية التعليم لدى التلاميذ أكثر حيوية وفعالية، ويحل الكثير من مشكلات التلاميذ المتعلقة بالمنهج المدرسي.

- جانب مساندة العلاقات الاجتماعية فيعمل النشاط المسرحي عملية تنمية العلاقات الاجتماعية لدى التلاميذ، حيث أنه يعتمد على العمل الجماعي بين التلاميذ والمعلمين، حيث يساعد على اكتساب القدرة على النقد البناء، والقدرة على تبادل الأفكار ومناقشتها مع الآخرين.

- كما يعزز النشاط المسرحي المدرسي من ارتباط التلاميذ بقيم الدين الإسلامي ولغة القرآن وتاريخ الأمة وتراثها، والقدرة على التخيل والتغيير وتنمية التآلف والمحبة.
- وللمسرح المدرسي أهمية إذ أنه يعمل على توضيح مفهوم التمثيل المسرحي وأهميته التربوية وكذلك يعمل على تفجير الطاقات المبدعة وتوجيه إمكاناتها في المجالات المناسبة كالإلقاء والتأليف والتمثيل.
- يحقق المسرح المدرسي مقولة هامة تتميز بها وسائل الإعلام وهي قدرتها على تغيير نظرة الناس إلى العالم من حولهم، وتغيير المواقف والاتجاهات وبعض القيم وأنماط السلوك، وذلك من خلال ما تبثه من معلومات، فكثيرا ما يتخطى الناس عن قيم راسخة لديهم استبدلوها بقيم أخرى نتيجة تعرضهم لوسائل الإعلام.
- استثمار أوقات الفراغ وطاقات التلاميذ في كل ماهو إيجابي.
- تدريب التلاميذ على التحدث باللغة العربية الفصيحة.
- الارتقاء بالمنهج الدراسي عن طريق المسرح لإخراجه من عالم الجمود الرتابة إلى عالم الحيوية والحركة، وهذه العملية تعرف بالتربية الشاملة عن طريق تفاعل المسرح المدرسي مع المناهج الدراسية والعمل على تبسيطها وتجسيدها في صورة مسرحية.
- معالجة بعض المشكلات النفسية لدى التلاميذ كالانطواء والخجل والتردد وصعوبة الاندماج.

ونتيجة لهذه الأهمية البالغة للمسرح المدرسي فإن الباحثين والمهتمين به، قد جعلوه مصب اهتمامهم سعيا منهم لإدراجه ضمن المنظومة التربوية الجزائرية، خاصة وهم يرون العراقيل التي تقف أمام سير الدرس للمتعلمين.(5) علاء أحمد العياش، واقع الإعلام المدرسي وتصور مقترح لتفعيله من وجهة نظر معلمي وتلاميذ الحلة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق، كلية التربي قسم أصول التربية، جامعة دمشق،2013، ص ص 32،33.

واقع المسرح في المنظومة التربوية الجزائرية:

اعتبر الناقد المسرحي عبد الناصر خلاف أن ثقافة الطفل في الجزائر هي آخر اهتمامات المنظومة التربوية ، فأكد في تصريح له ل "الفجر" أن فكر الطفل على اختلاف سنواته معزول عن الفضاءات الثقافية، حيث يقول إن الحديث ليس عن الطفل الذي يعيش في المدينة بل الذي يعيش في القرى والمداشر والبلديات النائية خاصة الذي لم ير في حياته تظاهرة ثقافية ترتقي إلى مستوى ميولاته الفطرية، وأيضا الطفل الذي لم ير مهرجا أو بهلوانا ولم يعش لحظة اندهاش ساحر، ولم يلتقي مهع هذه الكائنات العجيبة والمتتعة التي تسمى بالممثلين، قد تنقله من لحظة انبهار إلى الخيال الفني الراقي وترفع مستوى فكره إلى درجات اللامعقول والممتع في نفس الوقت، فالطفل بقي لمدة سنوات في عزلة داخل دوائر جغرافية وبقي مجال استغلال لثقافة الكبار والعمل بدافع الجهل وعدم القدرة على الاستيعاب.

وما يجدر الإشارة إليه هو أن الاهتمام بثقافة الطفل بدأ في السنوات الأخيرة يلقي مداره سواء من خلال مختلف الأعمال المسرحية والتظاهرات الفنية المقامة، كأيان القراءة والمطالعة والملتقيات المنظمة من قبل الجمعيات الثقافية التي تهتم بالبراعم، إلا أن المشكل الواضح في غياب ثقافة الطفل في الجزائر هو انعدام الركائز الأساسية للثقافة المسرحية في المدرسة وغياب المهتمين والمتخصصين في هذا المجال. (6) عبد الناصر خلاف، غياب المسرح المدرسي ساهم في عزل الطفل عن الفضاء الفكري، الفجر، 2013/4/1.

فالمسرح في الجزائر يعيش حالة من الفوضى في البرمجة، وفوضى في المواضيع المقترحة للمتلقي، فهو مسرح مناسباتي يقتصر على العطل المدرسية والمخيمات الصيفية، ولم يصل بعد إلى مرحلة التأسيس التي يعتمد خلالها على مختصين في علم النفس التربوي والمستشاريين والبيداغوجيين، فقالت الدكتورة "زقاي" أن بحوثها المنصبة على المسرح خلصت إلى استنتاجات صنفت المسرح الجزائري في المرتبة الثالثة مغاربيا بعد تونس والمغرب، حيث أن المسرح بتونس عرف عناية وتنمية ومن ملامح ازدهاره تشعبه إلى العديد من التخصصات من مسرح الطفل ومسرح العرائس والمسرح المدرسي الذي أدرج في المدرسة، في حين أن هذا النوع من المسارح لم يعرف نفس الوتيرة في الجزائر، على الرغم من أن وزارة الثقافة أولت هذا الجانب عناية خاصة، والدليل على ذلك وجود مهرجان مسرح الطفل في العديد من الولايات مثل مسرح العرائس بعين تيموشنت، المسرح المدرسي بمستغانم والذي جاوز طبعته الثلاثين، فضلا عن مسرح الطفل بقسنطينة ووهران ومهرجان خنشلة، هذا الأخير الذي عرف نشاطا مكثفا خلال السنوات الأخيرة .وأضافت أن المشكل الحالي يكمن في عدم التفريق بين أنواع هذا المسرح، فنجد مسرح الطفل ومسرح للطفل الذي لا يوجد إلا في أوربا الشرقية أين يبدع الأطفال لنظرائهم وهذا النوع غير موجود في الجزائر ولا في العالم العربي، المسرح المدرسي والمسرح التعليمي وكذا مسرح العرائس، إلا أن الخلط لا يزال موجودا بين هذه المسارح لدى ممارسيه بسبب غياب التخصص بدليل خلو المسارح من المتخصصين والنفسانيين والتربويين والمستشارين البيداغوجيين.

فالمسرح المدرسي هو وسيط ثقافي ترفيهي معرفي تعليمي وجداني إدراكي فكري ويعد وسيطا في التحليل النفسي للمتعلمين حيث يساعد على معالجة المشكل النفسية، وتضيف فتقول:" ونحن كخبراء نؤكد ضرورة إدراج المسرح في المنظومة التربوية وهو المشروع الذي اقترحته على وزارة التربية لكني لم أجد آذانا صاغية، حيث مثلت الجزائر بالهيئة العربية للمسرح بالشارقة منذ سنة2014م أين كنت عضوا فيها وتم ضمن 7 خبراء من مجلة 34 خبير عربي لمتابعة إدراج مسرح مدرسي في المنظومة التعليمية، كما قمنا بإنشاء دليل مرشد في المسرح المدرسي العربي سنة 2016م، يتضمن كل المراحل التعليمية، هذا ووافقت الوزارة على تبني مسرحية المناهج وهي تقنية بيداغوجية لكن الإدراج الفعلي للمسرح المدرسي يبقى مؤجلا بحجة الاهتمام حاليا بإصلاحات الجيل الثاني، لكننا سنواصل سعينا لتجسيد المشروع من أجل التأسيس لاستراتيجية تلقي مدروسة

وصنع جمهور محب للمسرح.(7) "بلعباس غ شعدو، إدراج المسرح في المنظومة التربوية ضروري لصناعة متفرج الغد، جريدة الشعب، 14 جانفي 1018

ولكن المقترحات الجديد في ظل المنظومة التربوية الجزائرية تسعى إلى إدراج مادة المسرح للتدريس في جميع الأطوار التعليمية، وذلك في إطار تنفيذ بنود اتفاقية مع نظيراتها وزارة الثقافة، وطلبت الوزيرة من مديريها المركزيين في مراسلة وصلتهم التحضير لمناقشة ملف إدراج نشاط المسرح ضمن مواد التدريس في الأطوار التعليمية الثلاثة، تطبيقا لبنود بروتوكول الاتفاق الممضي مع وزارة الثقافة ، وأكدت المصادر أن القرار يحمل عدة قرارات تربوية وثقافية، فالأوضاع التي تعيشها المؤسسات التربوية الجزائرية جراء ضغط المواد والبرامج على حد سواء أدى إلى عدم الاهتمام والتركيز على الأنشطة الثقافية والرياضية فأصبح يتلاشى في جل المؤسسات التربوية.(8) نشيدة قوادري، المسرح ضمن المقرر الدراسي في الأطوار التعليمية الثلاثة، جريدة الشروق، العدد:5649، الجزائر، 29فيفري2016.

نحو آفاق للتجديد في بناء مسرح جزائري:

إن الأهداف المرسومة في بناء مسرح مدرسي ترتبط أساسا بالتوجهات الكبرى لمنظومة القيم التربوية، التي يرسمها النظام التربوي، وهي تنعكس بشكل أساسي على كل عمل يقدم للمتعلم أو أي نشاط يقوم به في مختلف الأطوار التعليمية، ليعطي قدرا من المعارف والمهارات التي يستعين بها في بناء شخصيته، وصقلها وفق متطلبات المجتمع وحاجاته الضرورية، وتدخل في إطار الإعداد المسبق لهذا المتعلم لتحمل مسؤولياته المستقبلية في مختلف جوانب الحياة.

إن الأهداف المتوخاة من إنشاء مسرح مدرسي تعتبر سياسة تربوية عامة، تشكل نظاما لأي مدرسة تسعى إلى تنشئة حسنة لتلاميذها في جو نفسي واجتماعي وتربوي متكامل كما أن التمثيل في هذا المسرح المدرسي له تأثيره الفعال على المتعلمين، بما يحدثه من أثر في انفعالاتهم وعواطفهم بما يتلاءم وطريقة اختيار الممثلين في مسرح الأطفال، لأن ما يعرض على المتفرجين وما يتخيلونه يحمل سمة الجمال " تستند الأدوار إلى خير من يحسن أداءها، والحق أن الأطفال يمكنهم أن يحكموا على العمل المسرحي أحكاما بدرجة من الكفاية، وإن كانوا لا يستطيعون تحليل العمل المسرحي تحليلا نقديا، علميا دقيقا، ولكنهم ببساطة يتأثرون بالتمثيل المتقن، ولا يحركهم التمثيل الهزيل". لذلك يستحسن أن يدرب هؤلاء الصغار على بلورة أفكارهم وتوجيهها الوجهة السليمة التي تحمل في طياتها روح المسؤولية، حتى تصقل مواهبهم وتكشف قدراتهم وفق تقويم منهجي سليم.

وإن النظام التربوي الذي تقوم عليه أي منظومة تربية يعكس طموحات الأمة ويمثل ما تختاره من توجهات في مجال الثقافة والاجتماع، ويسعى في حركة دائبة إلى إيجاد الصيغ الملائمة لتنشئة الأجيال، حتى يجعل منهم فاعلين يؤدون أدوارهم المختلفة داخل المجتمع، ويستمد توجهه في التوفيق بين الأصالة المتمثلة في ماضي الأمة بما يحمله من قيم وطموحات، وما يمكن الاستفادة منه من تجارب وخبرات للأمم الأخرى حتى نعيش العصر

ونواكب التحديات المختلفة التي يفرضها العصر، والمنظومة التربوية لم تشذ عن هذا المنحى حتى يواكب المجتمع المتغيرات الحاصلة في مختلف الميادين، فمن واجب المشرفين على قطاع التربية أن يضعوا نصب أعينهم إعادة بناء المناهج، وتغيير البرامج بما يتلاءم وهذه التطلعات(9) عبد العزيز بوشلالق، المسرح في المنظومة التربوية الجزائرية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، 2009،ص55.

فالواقع أن الناظر للمنظومة التربوية الجزائرية يجد أن آفاق المسرح وترسيخه داخل المناهج الدراسية غير منصوص عليه، لكن إذا ارتبطت هذه الأهداف بالنوايا الحسنة، وبإرادة فعالة وشجاعة في ترسيم تعليمية المسرح كمادة تعليمية في جميع مراحل وأطوار التعليم، يمكن أن تتحقق هذه الأهداف بكل سهولة ويسر، فالمعلم في حد ذاته يستطيع أن يخلق جو العمل المسرحي وأن يُبدع فيها هذا المجال فيفتح بابا واسعا للتلاميذ من أجل إدراك قيمة هذا الفن الأدبي، ويقدم رسالته بطريقة سهلة يكون التلميذ قادر على التجاوب معها أكثر من اللغة اليومية له في الدرس والتي تقترب من الجانب النظري.

إن المسرح المدرسي يعاني من عدم الاهتمام إدارات المدارس التربوية بأهميته في علاج المشكلات الطلابية، وكثرت المعوقات التي تعيق تقدم المسرح المدرسي بحجة أنه فن يذهب الأخلاق ولأنه يأتي على هامش الأنشطة الفنية المنفذة داخل المدرسة أو لعدم وجود متخصصين في المسرح المدرسي مما دفع بإدارات المدارس على عدم رسم صورة واضحة لتنشيط النشاط المسرحي وتفعيله ، وفيما يلي بعض الآليات التي تساعد على تفعيل هذا النوع من الإعلام في مدارسنا:

- ضرورة تعزيز مكانة المسرح المدرسي واعتماده في مدارسنا ومناهجنا التربوية وتوظيفه لتحقيق الأهداف التربوية، وغرس القيم العربية الأصيلة المنشودة.
- العمل على توفير مشرفين فنيين في المدارس يقدمون خطط عمل سنوية، ومن الممكن تخصيص مشرف فني لكل مدرستين أو ثلاثة ينسقون مع المدير والمعلمين.
- تقديم نماذج مسرحية تعليمية وإبداعية ضمن المنهاج المقرر.
- عقد المسابقات الجادة والممولة تجهيزا وجوائز محفزة ومتابعة ذلك سنويا.
- تطوير أداء المتعلمين في اعتماد المسرح أسلوبا من أساليب التدريس المعتمدة والقائمة على التنويع.
- تفعيل مسرح الطفل القائم ونشر فكرته علميا في كافة المحافظات.
- ضرورة الإعداد المهني لبعض معلمي التعليم الإبتدائي إلى الثانوي من خلال دورات تدريبية على العمل والأداء المسرحي المدرسي.
- إقامة الندوات التي تعنى بالمسرح المدرسي وإبراز دوره في تنمية الجوانب المعرفية والمهارية والوجدانية.
- الاهتمام بطباعة النماذج المسرحية المحلية والخارجية ونشرها من أجل تعميم الاستفادة منها.

- حث التلفزيون على تقديم العروض المسرحية الناجحة بعد ‘دادها تلفزيزنيا، وعدم الاكتفاء بتقديم برنامج الأطفال القائم على النمط التقليدي.
- الاستفادة من حصص التعبير في جميع السنوات الدراسية لتنمية موهبة الكتابة والتذوق الفني لعناصر المسرح.
- الاستفادة من الأيام الوطنية والمناسبات الدينية لاقامة الأعمال المسرحية المختلفة.
- الاستفادة من جهود بعض الفرق المسرحية المحلية التي تهتم بمسرح الطفل، من خلال استضافتها في المدارس، أو تنظيم وفود للأطفال لمشاهدة عروضها على حشبة المسرح خرج أسوار المدرسة، أو خلق جو منافسة للتلاميذ للالتحاق بمثل هذه الفرق المسرحية.(10) علاء أحمد العياش، واقع الإعلام المدرسي وتصور مقترح لتفعيله من وجهة نظر معلمي وتلاميذ الحلة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق، كلية التربي قسم أصول التربية، جامعة دمشق،2013،ص124.

قائمة المصادر والمراجع:

1 علاء أحمد العياش، واقع الإعلام المدرسي وتصور مقترح لتفعيله من وجهة نظر معملي وتلاميذ الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في مدينة دمشق، كلية التربية قسم أصول التربية، جامعة دمشق، 2013، ص31.

2أحمد صقر، المسرح المدرسي تعريفه أهميته مصادره ومقوماته الجمالية، الحوار المتمدن، 20 فيفري 2011

3مالك نعيمة غالي المالكي، أهمية المسرح المدرسي ومسرح الطفل وتداخلهما لتحقيق أهداف تربوية وغيابها في المدارس والمؤسسات التربوي، معهد الفنون الجميلة، العدد:11،2011،الرصافة.

4 برمانة سنية سامية، العلاقة المسرحية وجمالية التلقي لدى الجمهور المسرحي الجزائري، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2009، صص184،180.

5 علاء أحمد العياش، واقع الإعلام المدرسي وتصور مقترح لتفعيله من وجهة نظر معلمي وتلاميذ الحلة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق، كلية التربي قسم أصول التربية، جامعة دمشق،2013، ص ص 32،33.

6 عبد الناصر خلاف، غياب المسرح المدرسي ساهم في عزل الطفل عن الفضاء الفكري، الفجر، 2013/4/1.

7 "بلعباس غ شعدو، إدراج المسرح في المنظومة التربوية ضروري لصناعة متفرج الغد، جريدة الشعب، 14 جانفي

8 نشيدة قوادري، المسرح ضمن المقرر الدراسي في الأطوار التعليمية الثلاثة، جريدة الشروق، العدد:5649، الجزائر، 29فيفري2016.

9 عبد العزيز بوشلالق، المسرح في المنظومة التربوية الجزائرية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، 2009،ص55.

10 علاء أحمد العياش، واقع الإعلام المدرسي وتصور مقترح لتفعيله من وجهة نظر معلمي وتلاميذ الحلة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق، كلية التربي قسم أصول التربية، جامعة دمشق،2013،ص124.